الحفريات المعرفية لمفهوم التفكيك
عند دريدا بين كتاباته ومصادره.. دراسة نقدية

إسماعيل نقاز (*)

تمهيد:

إن النظر في ببيلوغرافيا **دريدا** يأخذنا نحو الفراغات التي كان يستدعيها في بيان مفهوم **التفكيك**. والوقوف عند مصادره الظاهراتية والبنيوية التي تمرد على أبجدياتها، بعد اتهامها وفضحها؛ يكون بمثابة القراءة الحقيقية للمنتوج الانقلابي على أسوار السكولاستيكية التي قبرت فيها البنيوية ذاتها، فقد أعلن وفاتها بميلاد **التفكيك**، وهنا تظهر إشكالات الانبعاث التفكيكي في كتاباته، لتجيب عنها مصادره وقراءاته قبل الانعتاق الفكري وبعده.

ويبقى البعد المنهجي في رؤية التأويل والتعددية القرائية جزءا ركينا أصيلا في تجاوز الآني وقراره. إلى استلهام المستقبل القرائي الجديد، وهنا نقف مع **دريدا** ليجيب عن المقاربة بين القراءة العدمية وبين الخلفية اللاهوتية/التوراة، وكذا قراءة ما بعد اللاهوتية.

الأرض التي ولد فيها المفهوم جعلت الناقد، يرقب من بعيد ذلك الوميض الرفيع الذي فجر به **دريدا** فلسفة السائد لينتقل من الأمكن إلى الممكن، إلى تأسيس صرح يأبى السكون إنه **التفكيك**.

تبحث هذه الورقة في **ايتيمولوجيا المصطلح**، وملاحقة أماكن الارتحال وفراغاته مرورا بمعالم التقويض لمختلف النسقيات الظاهراتية، البنيوية....الخ.

- وانتهاء بسؤال ما هو التفكيك؟ هل هو رؤية أم منهج؟
- ثم ماذا بعد دريدا؟ ما مصير التفكيك في القراءات المعاصرة؟

_ جاك دريدا وسؤال الهوية والارتحال.

_ مفهوم التفكيك عند دريدا.

* - أستاذ مساعد بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس.

_ الرؤية السياقية لمفهوم التفكيك بين مصادر دريدا وكتاباته.
_ هل التفكيك منهج أم رؤية في القراءة؟
_ ماذا بعد التفكيك؟ رؤية نقدية.

جاك دريدا وسؤال الهوية والارتحال:

يعتبر **جاك دريدا** رائد التفكيكية المعاصر الذي توفي 2004/10/09 عن سن يناهز 74 عاما بعد صراع طويل مع المرض. و**دريدا** ينتمي الى ذلك الرعيل من المفكرين و الفلاسفة الذين نشأوا أصلا في الجزائر. وعاش هناك حتى انتقل الى باريس لأداء الخدمة العسكرية. ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا. حيث تتلمذ على يد "**جان ايبوليت**" أحد كبار الأساتذة المتخصصين في فلسفة "**هيجل**". وقد استطاع **دريدا** أن يفرض اسمه على الحياة الفكرية في فرنسا. و يمد تأثيره إلى أمريكا حيث كان يقوم بالتدريس شهرا كل سنة في جامعة "ييل". ويقف **دريدا** بوصفه حالة فريدة ومتميزة من بين المفكرين والفلاسفة البنائيين/البنيويين، أمثال "**ليفي ستراوس. جاك لاكان. ميشيل فوكو. رولان بارت**"، وبفضل أعماله الغزيرة حقق شهرة واسعة. بكتابات في معضمها مقالات أو دراسات تدور في غالب الأحيان حول كتابات و أراء غيره من المفكرين والفلاسفة والأدباء، إلى جانب عدة كتب يعالج فيها بعض الموضوعات الفريدة. كما هو الشأن في كتابه "**البطاقات المصورة**". "**حقيقة الصورة**". وكان قد ذاع صيت **دريدا** عام1962 حين نشر ترجمة لدراسة الفيلسوف الألماني "**هوسرل**" "**عن أصل الهندسة** "، وقدم لهذه الدراسة بمقدمة طويلة تعدت 150صفحة وحاز الكتاب على جائزة "كافييه". ومع أن اسم **دريدا** يرتبط بالبنائية والبنائيين فهو يحرص على إظهار ما تتضمنه آراء البنائيين الآخرين من تناقضات ومفارقات. كما أنه في كتبه "**الجراماتولوجيا. الكلام والظاهرة. الكتابة والاختلاف**"، يعبر عن تشككه وعدم ثقته في كل أشكال التفكير الميتافيزيقي. وبذلك فهو يمثل اتجاها جديدا ومهما داخل المدرسة البنائية يطلق عليه اسم "**ما بعد البنيوية**". وقد توصل **دريدا** إلى أسلوبه الخاص في تحليل النص ونقده وهو أسلوب يطلق عليه اسم "**استراتيجية التفكيك**"، أي تفكيك النص

لإظهار أنه عبارة عن مركب من النصوص الأخرى.وهذا التفكيك خليق بأن يكشف في الوقت ذاته عن الطريقة التي أمكن بها تركيب النص أول الأمر.

إن أهم إشكالية في حديث الأصل والهوية مع **دريدا** تتعلق بثنائية الانتماء والعرق، تبدأ من اسمه الذي غيره من فقد ولد باسم **جاكي**، وغيره إلى **جاك**، فقد غيره دون أن يتخلص منه تماما، فالاسم الجديد لا زال يحمل تبعات وآثار الاسم الأول، يعلق على ذلك **دريدا:**« الاسم أشبه بعلامة الختان، إشارة متأتية من الآخرين، وننصاع لها بسلبية كاملة، ولا يمكنها أن تفارق الجسد» [1].

وهنا يلتف على مقابلة تغيير الاسم باللغة، فتكون عملية التغيير غير ذي شأن مثل اللغة، لا يوجد ما يجعلها تنضوي تحت سقف المطلق والثابت، هذا الانزياح الذي يأتي من سؤال الهوية لا يعبر عند **دريدا** عن أي قيمة مطلقة أو ثابتة، تقيم عرى الخصوصية والانتماء، كل ما في الأمر أنها أقانيم لا بد من تجاوزها، فحديث الهوية هو لعبة داخلية لا بد من تقويضها عن طريق اللعب خارج النسق.

مفهوم التفكيك عند دريدا:

إن أهم موضع يفصح فيه **دريدا** عن مفهوم التفكيك صراحة هو ما أضافه في الرسالة الموجهة إلى البروفسور **أزوتسو**، وسماها "رسالة إلى صديق ياباني حول مفردة ومفهوم التفكيك" [2] **Déconstruction** يعزو **دريدا** البنية اللغوية لمفهوم **التفكيك** إلى الوعاء الفرنسي الذي ينتمي إليه، حيث تدل على الهدم بما هو تصفية واختزال سلبي، تقترب في مفهومها من مصطلح "الهدم" **démolition** لدى **نيتشه**، لكن ما وجده **دريدا** شفيعا قريبا يبين عن المفهوم ما ورد في قاموس "ليتريه" **lettréK**، حيث كانت دلالتها اللغوية والبلاغية عنده مرتبطة بالآلة، أي تفكيك أجزاء الماكنة أو الآلة، وتحيل عند **لومار**Lemare، إلى مفاهيم ثلاثة:

1_ تفكيك أجزاء كل موحد، تفكيك قطع ماكنة لنقلها إلى مكان آخر.

---

1 - جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، ط2: 2000، ص 57.
2 - المرجع نفسه 60.

2_ مصطلح نحوي: تفكيك الأبيات وإحالتها شبيهة بالنثر عن طريق إلغاء الوزن.

3_ التفكك والتخلع **se déconstuite**، فقدان الشيء بنيته.

يحيلنا **دريدا** مباشرة إلى الحركة التي أحدث التفكيك عليها انقلابا ألا وهي البنيوية، فهو يعتقد أن التفكيك إنما هو حركة ضد التفكيك؛ حيث يقوم على فك ونزع رواسب البنيات التي أسرت فيها البنيوية نفسها.

إلى هنا يعتقد **دريدا** أن التفكيك لا يعد نقدا **critique** ولا تحليلا **analyse**، ومفهوم هذه المباينة قائم على المعنى الاصطلاحي للتحليل، فتفكيك عناصر البنية يقول **دريدا** لا يعني الرجوع إلى العنصر البسيط، إلى أصل غير قابل لأي حل. وكذلك ليس نقدا لا بالمعنى العام ولا بالمعنى الكانتي، أي أن التفكيك يشمل المجالات النقدية المتعالية ويتجاوزها.

فالتفكيك يقوم على تحديد المنطق الأنطولوجي للمعاني، وهذا الأخير لا يتحدد إلا إذا أقمنا حمولة التفكيك في سياق معين يحل فيه محل كلمات مثل "**الكتابة**"، "**الاختلاف**"، "**الأثر**"، "**الهامش**"... الخ [1]، وفي هذا المقام فإن **دريدا** وهو يقيم الجسر الايتيمولجي للمفهوم فإنه يؤكد هامشية المفهوم رغم أنه أدى بعض الأغراض التحليلية والنقدية في تعرية أهم البنيات التي انكفأت على ذاتها، فقام هذا الأخير بتحطيمها.

إن ميلاد التفكيك عند **دريدا** ظهر جليا في المحاضرة التي أحدث بها انقلابا معرفيا، في مشاركته في المؤتمر الذي عقد في جامعة جونز هوبكنز عام 1966، فكانت أول خطوة في تفكيكيته هي التمرد على البنيوية[2]، وتحرك **دريدا** في هذا الاتجاه هو هدم لكل البنى التي أقامت فلسفة الحضور/المركز، فكانت النسقية الهيجلية والذاتية البنوبية أولويات الهدم التفكيكي عند **دريدا**، فكل ما يتعلق باللوغوس والمطلقات والثوابت عبارة عن إقصاء لفلسفة الغياب/الهامش، ولا بد من استعادة اللامركز وعدم الإيمان بمركزية الفكر، وهذا الاتجاه أدى به إلى القول بتقويض الميتاقيزيقا

---

1 - المرجع نفسه: 64.

2 - جاك دريدا والتفكيك، أحمد عبد الحليم عطية، دار الفارابي/بيروت، ط1: 2010، ص 150.

الغربية ونفي التمركز عن ذاتيتها؛ بل وتتبع كل أشكال الميتافيزيقا المزيفة التي تتخذ من التاريخ وفلسفته ومن الدين ومطلقيته أساسا لتبريرها، فتقوم التفكيكية بهدمه وإزالة السقوف والعتبات.

وفي القاموس **الدريدي** نجد صنفين من المصطلحات :

الأول: كل ما يعبر عن الفلسفات التي قام بتقويضها مصطلحات الثبات والمركز(الحضور التمركز حول اللوغوس، التمركز حول المنطق)، وأهم مصطلحات الثبات عند دريدا هو "**الحضور**" **présence** ، وهي مرادفة لـــ"**عالم المثل**"، "**الكليات الثابتة المتجاوزة**"، والحضور مقولة أولية قبلية توجد في البدء قبل تفاعل الذات بالموضوع، وهو مصدر الوحدة والتناسق والمعنى في الظواهر، وهو لا يتجاوز الإنسان وواقعه المحسوس، ويتجاوز التفاصيل الحسية ويهرب من قبضة الصيرورة.

فالفكر المتمركز حول **اللوغوس** **logo-centricity** في نظر **دريدا** فكر محاط بلوثة الميتافيزيقا التي تدعي لنفسها العالمية والشمول.

كذلك مصطلح "**التمركز حول المنطوق**"**phono-centricity**، حيث يعتقد **دريدا** أن التراث الفكري الغربي يقوم على ثنائية المنطوق/المكتوب، وأولوية المنطوق على المكتوب ظاهر في الثقافة الغربية، فالكلام هو السابق في ذهن الإنسان وهو يعبر عن الثبات والحضور والأنا المتعالي، بخلاف الكتابة فصاحبها غائب والتالي لا يتفاعل مع متلقيه، فهو شبه ميت، فهذه هي مركزية الحضور.

الثاني: تأتي مصطلحات القاموس التفكيكي لدى **دريدا** معبرة عن الانتماء الهدمي الذي تقوم عليه فلسفته أهمها مصطلح **الاخترجلاف** **La différence**، وهو مزيج من لفظتي الاختلاف والإرجاء، فالمعنى أن اختلاف الدوال هو الذي يحيل إلى غياب كل دال رغم حضوره لأن كل دال مختلف عن الدال الآخر [1] ولا يمكن أن يتقدم دال على آخر، ولا إقصاء دال على حساب دال آخر فالكل غائب، وكل دال جديد هو قصف للدال الذي قبله وهكذا.

---

1 - جاك دريدا والتفكيك، أحمد عبد الحليم عطية ، ص95.

فالاخترجلاف هو القوة الكامنة وراء كل الدوال، وقيمة الدال معتبرة بهذه القوة لا بأي شيء خارج الاخترجلاف، فلا هوية للدوال، وهذه القوة تقوم دائما يتفجير بنية هذه الدوال، وانقسامها، واستحضار أي دالة هو في الحقيقية استحضار لكل الدوال الأخرى، فلا مزية للدال الذي هو أمامي عن غيره من الدوال الغائبة، فالكل غائب والكل حاضر، والحضور لا يعني سوى الغياب وهي فلسفة التفكيك.

وهذا يحلينا في قاموس **دريدا** إلى مصطلح "**تناثر المعنى**" أي أن معنى أي دال أو نص هو منتشر ومبعثر كبذور الحبوب. وهو يعني كذلك "**نفي المعنى**"، وقد استلهمها دريدا من المفهوم **الأبوري aporia**، كلمة يونانية تعني "**الهوة التي لاقرار لها**" .

يقابل **دريدا** في قاموسه بين الاخترجلاف/التناص، حيث إن التناص يخترق النص خارجيا فيقوم بالتعرية والفضح للمعاني القارة بكيانه، ويأتي الاخترجلاف يقيم في داخل النص الواحد فيقوم على زحزحة أقانيمه وأصنامه، فالتناص[1]، يقتضي أن كل نص يقيم بين جملة كثيرة من النصوص، ولا يمكن قراءة هذا النص من دون استحضار التناص واستدعاء النصوص الأخرى، في حين يقوم الاخترجلاف بعمل تفجير داخلي لكيان النص.

الرؤية السياقية لمفهوم التفكيك عند دريدا بين كتاباته ومصادره:

إن كثيرا من النقاد يعتقدون أن تفكيكية **دريدا** طفيلية، بحكم أنها عبارة عن هزات ارتدادية لمعظم الأفكار النسقية والبنيوية، أي أن أصالة التفكيك تنبع من ردة الفعل التي مارسها **دريدا** على مختلف النسقيات السائدة، إن أهم ما يمكن أن نجده طريقا واضحا في اتجاه **دريدا** نحو التفكيك هو ثلاثة خلفيات **هيدغر** و**نيتشه** و**فوكو**، إضافة إلى أن معظم الأفكار التي أحدث عليها انقلابا تمثل فيضا من الفكر الذي ترجمته دراساته، ويتجلى ذلك واضحا في نقد وتفكيك البنيوية وعلى رأسها **دوسوسير**، إضافة إلى النسقية

1- بييرف زيما، التفكيكية دراسة نقدية، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للنشر، ص61.

الهيغلية التي سجنت نفسها في المطلق والثابت والمعيارية على حد قول **دريدا**.

دريدا قارئا لنيتشه:

ينسب **دريدا** نفسه إلى نيتشه في الكتابة والاختلاف، الذي يعتقد **دريدا** أنه أحل فكرة اللعب محل مفهومي الكون والحقيقة الماورائيين : « ينبغي بلا ريب إيراد النقد النيتشوي للميتافيزيقا، لمفهومي الكون والحقيقة اللذين حلت محلهما مفاهيم اللعب، والتأويل، والإشارة... » [1].

فما يميز فلسفة **نيتشه** هو اجتماع الضدين، **فنيتشه** يجمع بين الأطروحة والنقيض من دون أن يكون هناك تأليف ما، فينظر إلى المرأة مرة على أنها "قوة كذب"، وأحيانا كقوة حقيقة. هذه التراتبية بجيب عنها دريدا في بعد تفكيكي:« أن مستقبل النص– نيتشه لم يقفل» [2].

ذلك أن ازدواجات هذا النص، وتعددات معانيه تجعله قابلا للكتابة، ولأن يعاد تأويليه وفق سياقات جديدة.

ومن هذا الأساس الفلسفي الذي يشعه **نيشته** نجد أن التصور **الدريدي** لفلسفة الغياب حاضرة في النص **النتشوي**، حيث إن هذا التصور يتملص من سلطة الكلام وحيد المعنى القائم داخل تعارضات غير دياليكتيكية، مثل دال/مدلول، رئيسي/إضافي.

وهنا يتوجه **نيتشه** إلى المقاربة البلاغية حيث يشع مفهوم جمهرة الاستعارات، ودريدا في استلهام مفهوم التفكيك يستعيد هذه الفكرة **النيتشوية** بتصور الفلسفة كما لو أنها عملية تحويل كاملة إلى استعارات منفتحة ولا تقر في الكينونة المغلقة للنص، أي:«تدع ما كونته هي ذاتها يسيطر عليها»[3]. لكن ومع ذلك فإن **دريدا** يتجاوز فكرة الاستعارة فيقوم بقويضها وتفكيكها ليخرج عن نطاق النسقية والاحتواء، وهنا نقف مع **دريدا** في قراءة النص **النيتشوي** واستلهام معاني التفكيك من فجواته، حيث يتجاوز هذا الأخير كثيرا من الأفكار الأساسية التي تشكل فكر **نيتشه** مثل مفهوم "إرادة

---

1 - دريدا جاك، الكتابة والاختلاف، ص 412.
2 - المرجع نفسه، ص98.
3 - المرجع نفسه،ص38.

القوة الفنية" حيث يرفضها دريدا، لأنها في اعتقاده تعتبر مدخل إلى المبدأ الأساسي للميتافيزيقا.

دريدا فاهما عن هيدغر:

لا يمكن أن نفصل متن **دريدا** عن المصدر الهيدغري، ويتجلى ذلك واضحا في أن النص **النيتشوي** قد كان حاضرا في فلسفة **دريدا**، وقد كان النقد **الهيدغري** للميتافيزيقا الغربية واضحا، حيث إنه يستند إلى رؤية **نيتشه** الأولى لكنه يتجاوز هذه الحتمية التاريخية على المستوى الأنطولوجي: «يجري التفكير في تجاوز الميتافيزيقا في علاقته بتاريخ الكون**L'etre**»[1].

فأنطولوجية **هيدغر** في نقد الميتافيزيقا تجاوزت النقد الوجودي إلى اللغة حيث يجعلها في ثنائية عبثية بين الدال والمدلول:« إن لغة محاورتنا لا تنفك، بمقدار، تخرب إمكانية قول ما نتحدث عنه »[2]. إن هذا المعنى يؤكد كل الإشكالات الأساسية التي طرحها **دريدا** في أنطولوجية اللغة.

ما بعد البنوية أو الانفلات من الأسر البنيوي:

لا يمكن أن ننكر أن أهم ما جادت به أفكار **دريدا** في تأسيس مفهوم التفكيك، إنما جاء من وراء الانقلاب الذي خرج به على البنيوية ومبادئها، والنص الذي يحضر لدى **دريدا** في عملية التشريح هو بنائية **دوسوسير**، حيث إن **دريدا** جعل من بنيوية **دوسوسير** أساسا في التقويض، ولعل أغلب الأفكار **الدريدية** إنما هي استلهام من النص **السوسري** نقدا وهدما[3]، أهم العلاقات اللغوية التي استند عليها في التفكيك اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، وانتفاء القيمة الذاتية للعنصر اللغوي، واعتماده في امتلاكها على اختلافه مع العناصر الأخرى في السلسلة أو النسق.

استنادا على هذين المبدأين يصل **دريدا** إلى عدة نتائج معرفية أهمها:

---

1 - هيدغر ، ما الميتافيزيق، ترجمة فؤاد كامل، ص86.

2 - المرجع نفسه، ص100.

3 - عادل عبد الله، التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل، دار الحصاد /سورية،ط1: 2000، ص37.

_ **علاقة الكلام بالكتابة:** يعتقد **دريدا** أسبقية الكتابة على الكلام، لأن الفكرة القائمة على أسبقية الكلام على الكتابة قد ورثت فلسفة الحضور والتمركز حول الظاهرة الصوتية، والأمر الذي تم فهمه وقراءته من قبل دريدا بصورة مختلفة، هي أن مبدأ الاختلاف هذا يؤثر في كامل العلامة بوصفه شرطا للمعنى، أي أن ما قصده **سوسير** كاختلاف بين الدوال، أو بين المدلولات وحدها فهم من قبل **دريدا** على أنه اختلاف بين العلامات نفسها التي هي وحدة الدال والمدلول، يؤكد ذلك بقوله:« إن لعبة الاختلافات، تمنع العلامات من أن تصبح في أيه لحظة، وبأي طريقة، عناصر بسيطة، أعني حاضرة في نفسها وبنفسها» [1].

هناك من يقر بإساءة الفهم لدى **دريدا** تجاه النص **السوسوري**، أي هناك مغالطة وقع فيها **دريدا** عندما أقر بأسبقية الكتابة على الكلام، وفهم غلطا القراءة **السوسورية** في أن العناصر لا تحمل أي قيمة في ذاتها، وإنما تتحصل كامل قيمتها مما يجاورها من الاختلافات.

_ الملاحظة الثانية إقامته لمبدأ **الاختلاف** الذي هو عماد فلسفته التفكيكية، استنادا إلى مبدأي فهم **سوسير** للعلامة اللغوية، أي الاعتباطية والتفاضل.

ماذا تعني **الاعتباطية** والتفاضل في قاموس **سوسير** اللغوي، وكيف تعامل معها **دريدا** فلسفيا، هذا ما سنتولى بيانه.

يذكر اللغويون أن **الوحدة اللغوية** هي "كيان ثنائي يتألف من الربط بين عنصرين، وأن الإشارة ذات طبيعة سيكولوجية، فهي تربط بين الفكرة والصورة الصوتية "، أي بين الدال والمدلول.

أما **اعتباطية الإشارة** "أن فكرة الأخت لا ترتبط بأي علاقة داخلية بتعاقب الأصوات أ.خ.ت التي تقوم بوظيفة الدال، فهذه الفكرة يمكن التعبير عنها باستخدام أي تعاقب صوتي آخر" [2].

---

1 - حوار مع جاك دريدا، مجلة الكرمل، عدد17، 1985.
2 - التفكيكية إرادة الاختلاف، ص41.

لكن ما يمكن قوله كيف نثبت قيمة العلامة إذا كانت الاعتباطية قائمة بين الدال والمدلول؟ يجيب **سوسير**، أن هذه الإجابة تستند على مبدأ التفاضل، أي أن كل عنصر من العناصر اللغوية يستمد قيمته من تقابله مع العناصر الأخرى، وأن قمية كل عنصر تتحدد طبقا لمحيطه. إن القيم تستمد وجودها من النظام، حيث يضيف **سوسير** أن الأفكار إنما هي تفاضلية يحدد معناها ليس بمداها الإيجابي، بل يحدد سلبيا عن طريق علاقتها بغيرها من العناصر في ذلك النظام .

وهنا يستند **دريدا** في رد هذه المسلمات انطلاقا من فرضية **دريدا** التي تقول بأن الاختلاف بينهما هو الذي يسبب حضورهما، وإن صفة الحضور التي لهما لا تأتيهما إلا من خلال علاقة الاختلاف بينهما، الأمر الذي يعني أن الاختلاف بين علامتين هو المعنى، انطلاقا من الحقيقة الأولى التي تقول بعدم امتلاكهما لأية صفة قبل مسألة الاختلاف هذه التي بينهما، والتي سببت حدوث مثل هذا المعنى أو ذاك. بعبارة أخرى أن الاختلاف سابق على وجود العلامة كهوية ذات معنى وذات حضور ما.

هكذا يقفز **دريدا** على كل العتبات التي حددها البنيوية انطلاقا من اللغة بوصفها الوعاء الحقيقي الذي تنطلق منه آلية التأويل عبر ثنائية الدال والمدلول، فمفهوم **الاختلاف** كان حاضرا حضور المنهاجية التي ارتآها في تقريب مصطلح التفكيك، الذي يعد أساسا في تشكله.

هل التفكيك منهج أم رؤية في القراءة؟

هذه مسألة نعبر من خلالها إلى قراءة نقدية نحو مصطلح التفكيك عند **دريدا**، إن **دريدا** نفسه في كتابه الكتابة والاختلاف ينفي أن يكون منهجا، بقوله:«ليس التفكيك منهجا، ولا يمكن تحويله إلى منهج» [1].

وفي الواقع ليس مذهبا ولانسقا أو رؤية متكاملة، وهو إن كانت تنسب أبوته إلى **هيدغر** كما رأينا سابقا، بفعل التماثل بين مصطلح النقض عند **هيدغر** وبين مصطلح التفكيك عند **دريدا**، وتظهر عدم منهاجية التفكيك ونسقيته في كون فيلسوف التفكيك لا يبغي التوصل إلى مجموعة من النتائج

1 - جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، 61.

أو الرؤى البناءة، فهو لا يعمل فكره التقويضي إلا من خلال بعض القراءات التفكيكية لنصوص الغير لنصوص **أفلاطون**، و**هيغل**، و**هوسرل**، و**فرويد** و**ماركس**...الخ كما أنه لا يترك مجالا معرفيا إلا ويحاول أن يبث فيه روح التناقض بين المقدمات والنتائج.

والغريب أن **دريدا** ينفي عن التفكيك حتى أن يكون عملية أو فعلا: "ليس يكفي القول إن التفكيك لا يمكن أن يختزل إلى أدواتية منهجية أو إلى مجموعة من القواعد والاجراءات القابلة للنقد... يجب أن نحدد أيضا أن التفكيك ليس حتى فعلا أو عملية" [1].

إن الجديد الذي يطرحه **دريدا** في مفهوم التفكيك من خلال نصوصه أن منطق التفكيك هو التفكيك بشكل ما مع نظام الفوضى الذي تسعى إلى إثباته(2)، رغم ما ينفيه **دريدا** من أن مفهوم التفكيك يبتعد عن **فلسفة اللغة**، فإن الذي يمكن أن يستخلص هو أن التفكيك ليس سوى ضرب من اللعب باللغة. يبقى أن الشراح الذين تأثروا **بدريدا** ونهجوا رؤيته، جعلوا كمن التفكيك منهجا ورؤية في القراءة.

لكن توظيف التفكيك عند **دريدا** على الفكر الغربي، قام على كشف التناقض المبدئي بين مسلمات التراث الغربي المسكوت عنه، وهو الأمر الذي ينطبق على أي تراث، وبين الواقع الفعلي للممارسات الخطابية في شتى مجالات المعرفة، ويهدف **دريدا** من وراء كل ذلك إلى تجاوز الحدود بين الفكر والفن، وهكذا نظل مع فيلسوف التفكيك معلقين في الفضاء لا نعرف على أي قدم نرقص، كما ننخرط في شراك ألاعيب اللغة التي وإن قدمت واجهة بشحذ الذهن ومضاعفة القدرات النقدية للعقل، لا تهدينا في الواقع إلى خطة عمل واضحة، ولا تفتح لنا مجالا للبناء، وكأننا مع **دريدا** أمام بعث جديد لحركة الفكر **السوفسطائي**.

---

[1] - المرجع نفسه: 61.

[2] - عبد الحليم عطية، جاك دريدا والتفكيك، ص205.

ماذا بعد التفكيك؟ رؤية نقدية:

إن **التفكيك** يقوم على القراءة اللامحدودة للنصوص حيث إنها تقفز فوق كل العتبات، وتقضي بتصفية المؤلف، وتصفية النص كذلك عن طريق تقويض كل التفسيرات وجعلها في سلسلة غير محدودة من التأويلات، كذلك نسف كل العرى المركزية عن طريق استدعاء فلسفة الغياب/الهامش، والقضاء على كل الأقانيم التي تفرض نفسها في الساحة الغربية، بعد أن كنا نتسامر على البنيوية أصبحنا نقرأ ما بعد البنيوية، وبعد أن فتنتنا الحداثة أصبحنا مبهورين برياح ما بعد الحداثة، وحديث بداية النهاية.

إن ما جادت به الفلسفة التفكيكية يعتبر آخر صرخة للوعي الأوروبي، ولم يبق في أدبيات التفكيك سوى أن يقوم بتفكيك نفسه وبالتالي متاهة العدم.

لا يمكن أبدا أن نفهم **التفكيك** خارجة المتاهة الهرمسية التي تقوم على الهدم والتقويض دون أي معنى منطقي أو عقلاني، وإنما استنادا إلى اللاهوت المزيف والأسطورة.

لقد نهض أمام هذه الموجه الهدمية فلاسفة أصبحوا يشكلون مرحلة جديدة جاءت على أنقاض التفكيك، حيث أعادوا للنص مركزيته، وبالتالي إمكانية تأويله والوصول إلى مقاصده، وهنا يظهر لنا **هيرش** في مقاصديته وإعادة الاعتبار لمقاصد النص ومقاصد المؤلف، نأتي كذلك بعد موجة التفكيك أمام مشروع **أمبرتو إيكو** الذي استعاد التأويلية الرومانسية **لشلايرماخر** و **ديلتاي**، وكافح من أجل استعادة التأويل بوصفه آلية فعلية للوقوف على تفسير النصوص، وإمكانية الوصول إلى المعنى المراد، فقال بحدود التأويل، كذلك يظهر لنا الانبعاث الفلسفي **لهبرماس** الذي انقلب على التفكيكية العدمية، واستنهض الهرمينوطيقا الفلسفية والرومانسية من أجل إحياء المؤلف ونصه، بعد أن قضت عليه التفكيكية.

ما بعد التفكيك هو صيحة الإنقاذ من الزوال، هو تباشير الحياة وأملها، بعد أن أصبحنا في زمن التفكيكية ننتظر موتنا جميعا والذهاب إلى

العود الأبدي، فما بعد التفكيك استئناس بطول الحياة وعرضها والاسمتاع بنشوة الوصول إلى تأويلها وتفسيرها والفهم عنها.

ولعل في الثقافة العربية من يتجه هذا الاتجاه، فقد أن استيقظ كثير من النقاد إلى الفتنة التي ألمتهم في وعاء التفكيك، فاستعادوا يقضة بعد سكر لطالما ساروا في غياهبه.